إدارة المنزل واقتصاديات الأسرة (1/2)

تاريخ النشر في جريدة أخبار الخليج: 29 مايو 2016

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

لم تعد إدارة المنزل اليوم مقتصرة على الأب فحسب وإنما بدأ الكثير من الأعضاء يدخلون في ذلك، ولكن بعض من هؤلاء الأعضاء مرغوب وجودهم مثل الأم والأبناء، والبعض الآخر غير مرغوب في تواجده ولكنه مسلط على الأسرة شاءت ذلك أم أبت، كالخادمة والتلفزيون والإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي وما إلى ذلك. لذلك يقع اليوم عبء كبير على رب وربة الأسرة في إدارة المنزل من الجوانب التي يصعب إدارتها.

ودخول أطراف أخرى في حياة الأسرة يساعد كثيرًا في تشتيت أفكار الأطفال والأبناء، وربما هذا يؤدي إلى انحرافات لا نرغب في وجودها في حياتنا، وسلوكيات قد تنمو في أطفالنا يودي بهم إلى طرق يمكن أن تؤثر على حياتنا ومجتمعاتنا، وخاصة إن أنحرف الشاب وأدى انحرافه إلى التحاقه ببعض الجماعات التي لا نرغب في تواجدها بين ظهرانينا، وانحرفت البنت وسارت في طريق لا نهاية له.

مثل هذه الأمور وأمور كثيرة جعلتنا نفكر في تركيب الأسرة وتوزيع المهام والمسؤوليات وكيفية تنمو الأفراد فيها وعلاقتهم ببعض البعض، وكيف تنمو هذه العلاقات حتى تنمو وتزدهر، ونحن نتكلم في مثل هذه الموضوعات وجدنا أننا أمام مصطلح "إدارة الأسرة" ووجدنا أن

الأسرة أصبحت اليوم من المؤسسات المهمة التي لا تحتاج إدارتها فن وعلم وإنما تحتاج إلى مهارة وخبرة ومشاعر دافئة حتى يمكن أن تستقر، وأن يعيش أفرادها من غير اضطرابات نفسية وخوف وقلق، سواء من الناحية العاطفية أو الاجتماعية أو حتى المالية.

وتعرف إدارة الأسرة أنها "إدارة شئون الأسرة واستعمال كل ما لديها من موارد وامكانيات لتحقيق طموحات أفرادها ورغباتهم"، وربما نفهم من هذا التعريف إن البيت لم يعد مجرد مكان يلتقي فيه بعض الأفراد الذين لا يربطهم إلا اسم العائلة فقط، أو مأوى يلجئون إليه في نهاية اليوم ليأخذوا قسطًا من الراحة، إنما أصبح مفهوم البيت أوسع من ذلك بكثير فهو منظمة يصون ذات الأفراد ويحقق رفاهيتهم ويدار إدارة جيدة بحيث لا يكون بين أفراده نزاع أو خصام، ويلجئون إليه طلبًا للراحة والهدوء والطمأنينة والشعور بالتكامل مع بقية أفراد الأسرة بحيث يكمل الواحد منهم الآخر ليس ذلك فحسب وإنما لا يشعر بالسكينة إلا عندما يدخل البيت ويجد أن جميع أفراد الأسرة تستقبله بمشاعر فياضة ورغبة صادقة في تواجده.

وبوجود علاقات عائلية مستقرة وراسخة بين أفراد الأسرة الواحدة يصبح من السهل جداً الارتقاء وتحقيق الطموح وبلوغ مراتب عليا في تحقيق الذات، ليس للأب أو للأبناء الذكور فقط وإنما لجميع أفراد الأسرة، وهذا حتمًا سينعكس على المجتمع.

وعلى الرغم من أن الأسرة العربية ما زالت تحتفظ بمكانة الأب كقائد للأسرة إلا أن التركيبة الهيكلية للأسرة قد تغيرت نوعًا ما، فبعد أن كان الأب هو الوحيد الذي يأمر وينهي تغير التوجه واتجاهات الأسرة وبدأ تسير في الاتجاه الديموقراطي، فاختلف دور الأم وتطورت علاقتها بزوجها وأبناءها فزاد التفاهم والمشاركة العقلية والمالية في جميع شؤون الأسرة، وكذلك أصبح للأبناء مكانة يحترمها الكثير من الآباء، وبالتالي لم يعد دور الوالدين يقتصر على التوجيه والعقاب وتوفير الأولويات المادية فقط، وإنما أصبح من أهم وظائف الوالدين تنمية وتعزيز شخصيات ابنائهما عن طريق التوجيه والارشاد، وكذلك الاهتمام بالصحة النفسية والجسمية عن طريق غرس العادات الغذائية والبيئية السليمة والمحافظة على عقول الأبناء وتنمية ذواتهم ومشاعرهم بالإضافة إلى فهم وإدراك المشاكل التي تعترض أبناءهم في مراحل نموهم المتتابعة وكيفية مواجهتها، وكل ذلك يجب أن يغلف بقدر من الحرية وتحمل قدر من المسؤولية الموكلة إليهم، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا لا يعني أبداً أن نلغي الرقابة والإشراف وإسداء النصيحة والعون في الكثير من المرات ولا يعني أن نلغي دور الأب والأم، إلا أن ذلك يجب ألا يعني – أيضًا – تحطيم شخصية الطفل.

ولكن الأمور لا تكون هكذا وردية دائمًا، فالأسرة كثيرًا ما تتعرض – وخاصة في ظل الاوضاع السياسية والاقتصادية والمجتمعية المتقلبة – لهزات وتقلبات تتراوح ما بين بسيطة وعنيفة، لذلك فإن إدارة الأسرة لا تؤخذ بالصورة الاعتباطية والساذجة أو بالأحرى البسيطة كما كانت في

عهود سابقة، ولكن وحتى تستكمل صورة الإدارة المنزلية فإنه يجب أن تقوم على أمرين مهمين، وهما: إدارة الافراد وإدارة الموارد، وذلك من خلال الخطوات المتبعة في إدارة المنشآت بصورة عامة، وهي كالتالي: التخطيط، التنظيم، التنفيذ والمراقبة، التقييم، التعديل.

أولاً: التخطيط: التخطيط عنصر أساسي في أي عملية إدارية، فلا يمكن أن تنجح مؤسسة أيًا ما كانت، إلا بوجود خطة معينة يسير عليها الأفراد حتى وإن كانوا ثلاثة أفراد أو حتى فردين، وحتى الإنسان الفرد إن لم تكن له خطة واضحة للمستقبل فإنه في الكثير من الأحيان سيقف عند حدة معينة ولا يمكنه أن يتحرك إلا بالدفع.

والتخطيط في المنزل يجب يتم بإشراك جميع أفراد الأسرة، سواء التخطيط الطويل الأمد أو القصير المدى، وسواء تخطيط لمستقبل الأفراد أو تخطيط الموارد، وبعد أن يتفق جميع أفراد الأسرة على الخطة المنزلية، تكتب على ورقة وتوضع في مكان بارز أمام الجميع، بحيث يستطيع كل فرد أن يراجع المخطط متى شاء وكيفما شاء.

ولكي تنجح الخطة فإن على الأسرة أن تراعي الأمور التالية:

1. **العناية بالأهم قبل المهم.**
2. **تنظيم وتنسيق خطوات العمل بما يتناسب وظروف الأسرة واهتمامات واحتياجات أفرادها.**
3. **أن تراعي الخطة مصلحة جميع أفراد الأسرة، فالهدف الأساسي للأسرة هو تحقيق حياة إنسانية رفيعة المستوى لجميع الأفراد،**

فقد يكون من أهداف الأسرة ادخار بعض المال إلا أن هذا لا يعني التقتير الذي يمكن أن يؤدي إلى عواقب وخيمة يمكن أن تنعكس على مستقبل الأبناء.

4. يفضل أن تتمتع الخطة بالمرونة وأن تكون قابلة للتغيير أو التعديل، فإن طرأت بعض الظروف فإن ذلك مدعاة للوقوف على بنود الخطة وتعديلها إن لزم الأمر.
5. التمسك بالواقعية والموضوعية والبعد عن المغالاة والخيال، وأن توضع الخطة في حدود الموارد المالية للأسرة.
6. تقسيم الخطة إلى مراحل حسب السنوات أو ما تراه الأسرة مناسبًا.
7. والخطط لا تترك من غير تحديد الأوقات والتواريخ، لذلك يجب أن تحوي الخطة المنزلية على تواريخ واضحة، ومن المهم الالتزام بها.

ثانيًا: التنظيم: أي أن يقوم كل فرد من أفراد الأسرة بالدور المنوط به، في حدود إمكانياته وطاقاته وقدراته في حدود ما هو متاح من موارد، سواء مالية أو وقت أو ما إلى ذلك.

فالفرق بين ربة منزل – مثلاً – تحسن إدارة شؤون أسرتها وبين أخرى لا تستطع القيام بما عليها من مسؤوليات وواجبات، يتركز في أن الأولى مقتدرة على تنظيم وقتها واستغلال الخطة التي وضعت سابقًا مع أفراد أسرتها، وتنفيذها بنجاح، وبذلك سيكون لديها وقت فائض يمكن أن تستغله في أنشطة أخرى إلى جانب التفكير في تنمية الذات وتنمية الأبناء والكثير من تلك الأنشطة التي لا تجدها ربة الأسرة الأخرى التي لم تستطع أن تخطط وأن تقوم بعملية التنظيم.

ثالثًا: التنفيذ والمراقبة: هو تحويل ما هو مكتوب على ورق من أهداف ومخططات إلى قرارات واقعية تتحرك على أرض الواقع، ويجب أن يكون معلومًا أنه ربما ننجح كثيرًا في كتابة المخططات ووضعها على الورق ولكن يصعب علينا في الكثير من الأحيان تنفيذها، وذلك ليس لأن المخطط فاشل أو صعب التنفيذ وإنما ربما لأننا لا نستطيع أو لا نعرف أن نحولها إلى واقع ملموس.

وعملية التنفيذ لا يعني أبدًا أن نترك من غير مراقبة، فعلى رب المنزل أو بالأحرى قائد المنزل أن يراقب كيفية تنفيذ الخطة ومدى سيرها في الطريق الذي من المقدر أن تسير فيه، وذلك بهدف معرفة أمور كثيرة، منها: معرفة نواقص الخطة، أين تقع صعوبات التنفيذ، مدى جدية الأفراد في تنفيذ هذا المخطط، مدى قدرات الأفراد في تنفيذ المخطط وما إلى ذلك، هذه المراقبة تؤدي بنا إلى المرحلة التالية وهي التقييم.

رابعًا: التقييم: ببساطة إن التقييم يجب أن يكون موجدوًا منذ اللحظة الأولى من وضع المخطط، وبالتالي من خلاله نعرف نواقص الخطة ونقاطها القوية أو الضعيفة، ولكن وإن كانت عملية التقييم يجب أن تتم منذ اللحظات الأولى، إلا أنه يجب أن تكون جلسات التقييم محددة وواضحة، فمن المهم أن يجتمع أفراد الأسرة بين كل فترة وأخرى في جلسة تعرف بجلسة التقييم بهدف تقييم المخطط ومدى تنفيذه، ومن ثم يمكن الانتقال إلى المرحلة الأخيرة.

خامساً: التعديل: وبعد أن يتم التعديل بصورة موضوعية، فإن وجدنا أن هناك نقاط أو أمور تحتاج إلى تعديل يمكن أن يتم تعديلها، أو أمور تحتاج إلى ترميم يمكن ترميمها، أو أمور تحتاج إلى إلغاء فإنه يجب إلغاءها وما شابه ذلك، فكما قلنا يجب أن تكون الخطة مرنة بقدر الإمكان وأن لا تتحول إلى قيد يخنق أفراد الأسرة.

يحكى أنه كانت لدى أحد الأطفال سلحفاة يطعمها ويلعب معها، وفي إحدى ليالي الشتاء نظر الطفل لسلحفاته فوجدها قد دخلت غلافها الصلب طلباً للدفء، فحاول أن يخرجها فأبت، فضربها بالعصا فلم تأبه به، فصرخ فيها فزادت تمنعاً. فدخل عليه ابوه وقال له: "ما بك ؟" فقص الولد مشكلته مع السلحفاة لوالده، فتبسم الأب، وقال للولد: "دعها وتعال معي"، ثم أشعل الب المدفأة وجلس بجوارها هو والأبن يتحدثان.

وكلها لحظات حتى شعرت السلحفاة بالدفء في المكان فبدأت تقترب من مصدر النار طالبة الدفء وأخرجت رأسها وأطرافها، فتبسم الأب وقال للطفل: "يا بني إن لم يطيعوك فامنحهم شيئًا من دفئك، ولا تكرههم على فعل ما تريد".

وهكذا الأسرة وهكذا أفرادها، فالجميع يحتاج إلى حب ودفء الحب.

وما زال للحديث بقية،،